

## علمه الخلاف

## بعد العصر: زيت و«مش زيت»

بين زيت الزيتون والنوعية... معصرة. هذه الخلاصة جزء أساس من الدرب الطويل الذي سيخرج بعده الزيتون زيتاً بكاراً ممتازاً. لكن ثمة أجزاء أخرى تؤثر، مثل كمية الزيتون ونوعيته وطريقة التخزين ومدة الانتظار في المعصرة

## راجانا حمية

عندما نسال إحدى العاملات في وزارة الزراعة عن «مستوى» زيت الزيتون اللبناني، تقول بالحرف الواحد: «زيتنا (is the best) (الأفضل). هذا في المنطق اللبناني الصرف. وإن كان يمكن الاعتراف بالنوعية الجيدة للزيت اللبناني، حسب ما يقول العارفون بأحواله، إلا أنه ليس الأفضل دائماً. فالمنطق اللبناني يبتعد بعض الشيء عن المنطق العلمي الذي يرافق الزيتون (في دربه الطويل من الشجرة إلى نوعية القطف وزمن الانتظار

في المعصرة إلى آخر عصرة ترشح»، يقول الدكتور رامي زريق. هذا الدرب هو الذي يحدد «مكانة» الزيت، ما بين زيت بكر ممتاز أو جيد أو سيئ أو... أسوأ. لكن، مع هذا الدرب، ثمة رابط قوي بين نوعية الزيت ونظافة المعصرة. وهذا الرابط شكّل قبل سنوات عنوان مشروع مركز دراسات الزراعات العليا المتوسطية عن زيت الزيتون اللبناني. يومها، كان السؤال عن العلاقة بين «النوعيتين»: الزيت وتقنيات المعصرة. وجاء الجواب «الزيت يتأثر أيضاً بطريقة عصره». وحسب ما يقول زريق، هناك «تأثير كبير

للتقنية عصر الزيتون على نوعيته، تقاس بالفارق بين العصرة على مراحل وعصرة الدفعة الواحدة». ففي لبنان، ثمة الكثير من معاصر «العصر على دفعات»، والتي من أصل 544، تعتمد العصر التقليدي - المكبس. وهذه الطريقة تتطلب «منا أن نتعامل مع المعصور والمجروش والمكبوس، أي أن نعمل مرحلة بمرحلة ننقل خلالها عجينة الزيتون من مكان إلى آخر». وهنا، قد تتأثر النوعية «وفي أغلب الأحيان سلباً». فالزيتون كالقلب. دقيق وحساس. لا يمكن التعاطي مع «عصيره على أساس أنه أي سلعة أخرى»، يضيف زريق.

أما بقية الـ 82%، فمقسومة بين المعاصر «الأوتوماتيكية الحديثة» و«نصف الأوتوماتيكية». الأولى، وهي طريقة «العصرة الواحدة، فتشكّل 3% فقط من مجمل المعاصر، فيما تبلغ نسبة الثانية 15%. على أساس هذه القسمة، التي يتغلب فيها التقليدي، لا يمكن القول إن «زيتنا هو الأفضل، فإمكان الفساد أكبر في المعاصر التقليدية». أما كيف الأحوال في الإجمال؟ يقول زريق «أحوال الزيت اللبناني متقلبة ومتغيرة، إذ لا نستطيع القول إنه جيد أو عاقل». والمقياس هنا «مدى النظافة في آخر الطريق»... من دون أن ننسأ أهمية «أول الطريق التي يفترض أن تكون خلالها الحبة محمية في القطف وفي التخزين ومدة الانتظار أيضاً».

هذا في المنطق العلمي. أما في المنطق اللبناني، فالأمور تسير على ما يفعله مزارعو الزيتون الذين يعصرون زيتهم ويشترتون زيتاً آخر. وهنا، تكون العودة دائماً إلى «طريقة العصر». هذا هو الفارق إذاً. ثمة فوارق أخرى مصاحبة للنوعية. ففي التقليدي، تكون كمية المادة المترسبة في الزيت أعلى من طريقة العصر الحديثة. وأكثر من ذلك، فإن «المياه

التي تبقى في المنتج النهائي، هي نسبة تركيزها بالمواد الملوثة أقل من مياه التقليدية». ولكن، هناك ما هو أكثر أهمية، وهو أن «كل 100 كيلوغرام من الزيتون تنتج ما بين 50 و80 ليتر من الزيت في المعاصر الحديثة، بزيادة تبلغ حوالي 20% عن التقليدية». هذه نقطة قوة أخرى، بحسب زريق. مع ذلك، يتحدث عن إمكان الحصول على نوعية جيدة مع التقليدي «فيما لو تم تحسين سبل الإنتاج، وهو شرط لا يفرق بين مزارع وصاحب معصرة». لكن، ثمة مسؤولية تلقى على عاتق الأخير، «وهي مسؤولية النظافة في العصر».

في عودة إلى المعاصر الموجودة في لبنان، لا بد من الإشارة إلى أن 21% من تلك المعاصر مسجلة رسمياً على المستوى الوطني، مقابل 46% ذات تسجيل محلي، وهو الجانب المتعلق بالترخيص الرسمية لإنشائها. أما البقية، ف«متحررة» من الوطني ومن المحلي؛ وهنا، لا رخصة إنشاء ولا رخصة عمل، إذا كان لا بد من الالتزام بنظام التسجيل الذي تضعه وزارة الصناعة، والذي يحتم على صاحب المعصرة الحصول على رخصتين، واحدة للإنشاء وأخرى للعمل.

أما حصة المناطق من هذه المعاصر، فيستحوذ الشمال على النصف 50%، مقابل 21% في جبل لبنان و14,5% في الجنوب و12% في النبطية و2,5% في البقاع. وتعمل هذه المعاصر على عصر 70% من إنتاج الزيتون اللبناني، فيما 30% تبقى «زيتوناً للمائدة».

ثمة سؤال أخير، لا علاقة له بالنوعية ولا بالكمية: هل تعرفون ما هي كمية استهلاك اللبناني لزيت؟ الجواب مضيئة أخرى، وهو أن اللبناني «أقل مستهلك لزيت الزيتون، حيث لا تتعدى نسبة استهلاكه السنوي الـ 2,5 كيلوغرام، مقابل اليوناني مثلاً الذي يستهلك 20 كلغ».

لا يتضمن الصابون البلدي شحوما حيوانية ومواد كيميائية (الأخبار)



## طرابلس: كان غير شكل الصابون

اقتربت صناعة الصابون بطرابلس لعقود، وقد تراجعت اليوم لحلول الصابون المصنّع مكان البلدي وانحسار المساحات المزروعة بالزيتون في المدينة والجوار. ومع ذلك فمنتجات خان الصابون تباع في 200 نقطة في لبنان والعالم

## عبد الكافي الصمد

طرابلس هي واحدة من المدن القليلة في منطقة شرق المتوسط التي اشتهرت بصناعة الصابون، وانتشرت فيها خانات أو أسواق حملت اسمه. يعود ذلك إلى انتشار شجر الزيتون في المدينة وضواحيها، وتحديد في الكورة، ما سهّل على الحرفيين ابتكار هذه الصناعة وتطويرها.

يقول رئيس لجنة الآثار والتراث في بلدية طرابلس د. خالد تدمري، إن صناعة الصابون ازدهرت أيام الصليبيين، قبل أن تشهد فترتها الذهبية أيام المماليك الذين أنشأوا خان الصابون عام 1480، وبعدهم العثمانيين الذين وسّعوه. هنا يتحدث تدمري عن وثيقة تاريخية في قصر الباب العالي في إسطنبول، تشير إلى أن السلطان سليمان القانوني كانت تصله الهدايا من طرابلس، وعلى رأسها الصابون والسكر ومنها «صابون

العرايس»، وهو صابون على شكل كرات كان يُوضع في جهاز العروس. لم يتوقف ازدهار هذه الصناعة على خان الصابون وحده، فقد كانت طرابلس، بحسب تدمري، تضم نحو 10 مصابن كبيرة، لم يبق منها اليوم سوى 3 فقط تعمل يدوياً اليوم، باتت هذه الفترة الذهبية من الماضي، لولا قلة لا يزالون يتمسكون بها، باعتبارها من تراث المدينة ومورد رزق لهم.

بدر حسون أحد هؤلاء الذين أعادوا إحياء الخان وصناعة الصابون في المدينة. يعزو الرجل تراجع صناعة الصابون إلى الثورة الصناعية التي جعلت الصابون المصنّع يحلّ مكان الصابون اليدوي، والسبب الثاني، برأي حسون، هو «انحسار مساحة الأراضي المزروعة بالزيتون، سواء في طرابلس أو المناطق القريبة منها، ما جعل المصابن تستغني عن زيت الزيتون في صناعة الصابون بزيتون أخرى أو شحوم حيوانية، فقدت صناعة الصابون التقليدية في طرابلس روحها وقيمتها».

ويوضح حسون أن الصابون المصنوع من زيت الزيتون، والمعروف بالصابون البلدي، يتوزع على نوعين: الأخضر الذي يستخرج من «عجوة» الزيتون، والأبيض المستخرج من زيت الزيتون، كاشفاً أن طريقة الصناعة التقليدية للصابون لا تحتاج إلى أكثر من قدر كبير من المعدن (حلة)، وموقد وملح وصبود كوستيك.

لا يتردد حسون في التأكيد أن الصابون التقليدي المصنوع من زيت الزيتون «أفضل من الصابون الحديث، لأن صناعة صابون زيت الزيتون لا تتضمن شحوماً حيوانية ومواد كيميائية. لكن الرجل لم يقع في ما وصفه بالخطأ الذي وقع فيه

70% من إنتاج الزيتون يتحول زيتاً وتبقى 30% للمائدة (الأخبار)

الصابون الأخضر يستخرج من «عجوة» الزيتون والأبيض من الزيت

سواه من صانعي الصابون في طرابلس كي يبقى محافظاً على صناعته، ومن ثم يطورها حتى باتت صناعة الصابون اليوم في طرابلس تقترب به.

ويلفت حسون إلى أن «ما ساعدني في الحفاظ على عملي هو بيع منتجاتاتي من الصابون بالمفرق إلى الزبائن مباشرة، وعدم سماحي للتجار بالتحكم بأسعارها»، كاشفاً أن منتجات خان الصابون تباع اليوم في 200 نقطة بيع، منها 4 فقط في لبنان، والباقي في أنحاء العالم. لا يخفي افتخاره بأنه أعاد لصناعة الصابون مجدها الغابر في طرابلس، لكنه يشدد على أنها «تحتاج إلى رعاية أكبر من الجهات المعنية، كونها صناعة تقليدية تحمل إرث المدينة وتراثها، وتوفر وظائف عمل، وتسهم